

## تعريف بكتاب

# الخواجة نصير الدين الطوسي؛ مقارنة بين شخصيته وفكره

## سهيل الحسيني

الطوسي في الإمامة والأخلاق والسياسة، لوجود دراستين في هذا الإطار للدكتور علي مقلد.

المصدر: المعارف الحكيمة

الطوسي الفلسفية والكلامية، ولا للمقارنة بين آراء الخواجة الطوسي وبين الفخر الرازي، وذلك لوجود دراستين في هذا الإطار للدكتور هاني نعمان فرحات. ولا في نظريات الخواجة

بواكها يوضح معالم الطريق ويضع المؤشرات التي ينبغي أن تصاغ عليها، مع فهم موضوعي للفترة ذاتها)، وقد أكد هذه المقولة الدكتور الأعسم في بحثه عن نصير الدين الطوسي بقوله (دراسة نصير الدين في رأينا تكون عقيمة وناقصة إذا لم ترتكز على دراسة العصر الذي عاش فيه، وعلى البيئة التي طبعته بطبعها).

بدأنا بحثنا بإطلالة جغرافية توضح مكان الأحداث وطبيعتها، ثم قمنا باستعراض تاريخي في سبيل إيضاح أبرز الأحداث والعناصر المؤثرة في الحدث السياسي والاجتماعي في القرن السابع للهجرة. بعدها تعرضنا لسيرة الشخصية، مع التركيز على نشاط الخواجة الطوسي تلمذةً ودراسةً؛ والأساتذة الذين كان لهم التأثير الأبرز في صياغة الشخصية العلمية للخواجة الطوسي، ثم درسنا سيرته الشخصية وفق الحقب الزمنية وعالجنا الإشكاليات التي أثيرت حوله.

بعدها درسنا سماته العلمية ومشروعه العلمي والعملية ودوره في الحقبة المغولية، وآثار هذا النشاط على عامة النشاط العلمي على مستوى العالم الإسلامي، حيث قمنا بدراسة مشروعه الأهم (مرصد مراغة) بالمقارنة مع المراكز العلمية المشابهة التي أنشئت قبله، ودرسنا خصائصه ومميزاته وأثره في المؤسسات المشابهة التي أنشئت بعده.

بعدها درسنا أثر الخواجة الطوسي على علم الكلام، من خلال المقارنة بين أبرز كتاب كلامي له (تجريد الاعتقاد)، وبين أبرز كتاب كلامي للشيخ المفيد (أوائل المقالات)، وذلك لتحديد التطور الذي أدخله الخواجة الطوسي على علم الكلام لدى الشيعة الإمامية بشكل خاص. ثم تعرضنا لمشروع الخواجة الطوسي في إحياء الدرس الفلسفي من خلال رده على مشروع نقد الفلسفة الذي بدأ على يد الغزالي وأكمله الشهرستاني والفخر الرازي من بعده، بعدها تعرضنا لمميزات مشروع الخواجة الطوسي الفلسفي والكلامي من خلال أبرز آراءه والتي كان لها الأثر على من جاء بعده، ثم درسنا مميزات فكره العرفاني من خلال أبرز آثاره في هذا المجال وهو (أوصاف الأشراف). لم نتعرض للبحث التفصيلي في آراء الخواجة

الاسماعيلي بقتل أحد أئمتة وتلف جزء كبير من الوثائق الفكرية لهذا المذهب عندما إنهارت دولة الفلاح وحرقت المكتبات التي كانت موجودة آنذاك. وأمتاز هذا القرن ببروز جديد لعلماء الشيعة الإمامية في حوزة الحلة كمركز علمي، كل ذلك جعل هذا القرن قرن مخاض فكري كان له أثر كبير على الفترات اللاحقة. أما على المستوى الفلسفي فقد كانت هذه الحقبة قد أعقبت ضربات موجعة وجهت إلى الفلسفة عامة وفلسفة ابن سينا بشكل خاص، من خلال النقود التي جاءت على يد الغزالي والشهرستاني والفخر الرازي بما كانوا يمثلونه من مرجعيات فكرية لها وزنها على مستوى العالم الإسلامي في تلك الفترة، وشهد هذا العصر نزوح المدرسة العرفانية على يد ابن عربي وربييه صدر الدين القونوي.

في ظل هذا الخراب الحضاري، تفتحت قريحة الخواجة نصير الدين الطوسي، وتمثلت فيه كل ظواهر عصره الثقافية والسياسية والأخلاقية فقام باستيعابها ورفدها في سبيل إعادة إحياء الجانب العلمي والفلسفي والكلامي برمته. ولكونه لا يشبه، -بشكل من الأشكال- ذلك النمط من المفكرين الذين عاشوا بعزلة؛ حيث كان من الذين تقبلوا وعاشوا في بؤرة الحياة السياسية والاجتماعية في ذلك العصر المتقلب، كان على الباحث الذي يريد اللجوء إلى ساحة الخواجة الطوسي أن يعالج الكثير من الإشكاليات التي أثيرت حوله، والتي لا يمكن معالجتها معالجة وافية دون الإلمام بالظروف الاجتماعية والسياسية التي عاصرها، ولا يمكن الوصول إلى قدر معقول من التفسير والتبرير دون وضع هذه الإشكاليات في سياقها التاريخي والاجتماعي. وما يؤكد ضرورة إستيعاب هذا السياق هو أن نشاطه العملي وتأثيره بالحياة الثقافية والسياسية السائدة في عصره لم يكن أقل شأنًا من نتاجه الفكري.

## ■ منهج البحث

في سياق اكتشاف ودراسة أبعاد تجربة الخواجة الطوسي الفكرية سوف نعتمد المنهجية التاريخية بالاتساق مع منهجي المقارنة والتحليل والتكيب. حيث أن (كل دراسة فكرية لا بد لها من عمق تاريخي

## ■ المقدمة

المغامرة في استكشاف التراث ورجالاته مهمة شائقة وشائكة في آن معاً، وبحز خاض لجهت المتلازمة الكثير من الباحثين، وكان أحد المباحث -الذي سال فيه الكثير من الحبر ودار حوله الكثير من الجدل- تحديد الأهداف، والمناهج، والآليات الأفضل والأنجح في دراسة التراث. وإذا غضضنا النظر عن تقييم وجهات النظر والاقتراحات المقدمة في هذا المجال، نرى أن كل الباحثين متفقون على أهمية قراءة ودراسة التراث والانطلاق من هذه الدراسة -حتى عند من يقول بتجاوز التراث- لصناعة المستقبل؛ والجميع يؤكد أثر التراث في ما كونه من مميزات خاصة في الشخصية الحضارية لهذه الأمة، وفي أهميته في أي صيرورة مستقبلية. ولا يخفى أن تطور المسائل والعلوم الإنسانية وخاصة الفلسفة والكلام هو تطور وإنتشار أفقي، فتاريخ هذه العلوم هو مسألها وتطورها، وبالتالي لا يمكن الإستغناء عن قراءة ما قدمه المتقدمون في هذه المجالات.

لكل ذلك وقع الاختيار لدراسة شخصية عملية كان لها تأثير بارز في مسار الفلسفة والكلام في تاريخ الحضارة الإسلامية وهو الخواجة نصير الدين الطوسي، وهذا الإختيار له أسباب يمكن إيجازها كالآتي:

عاصر الخواجة الطوسي زمناً مفصلياً، فإنه نشأ في أجواء الغزو المغولي الأول (جنكيز خان) الذي دمر الأطراف الشرقية للدولة الإسلامية، بما كان يحويه من مدارس وحركة ثقافية غنية، والغزو المغولي الثاني (هولاكو) الذي دمر قلب الدولة الإسلامية وقتل رمز الخلافة العباسية، مع ما عناه ذلك من انهيارات في البنى الاجتماعية والسياسية والمعنوية، بما كان يمثله الخليفة العباسي من وحدة معنوية جامعة على مستوى العالم الإسلامي. وقضى هذا الغزو وبشكل تام، على آخر دولة يعتبر المذهب الإسماعيلي، مذهباً رئيسياً لها.

شهد القرن السابع إرهابات تحولات مذهبية هامة، فقد أنتهى العهد السلجوقي الذي فرض المذهب الأشعري وناصره من خلال المدارس النظامية، وبدأ يظهر الإتجاه الحنبلي-السلفي من خلال ابن تيمية وتلامذته. وتكثب المذهب

## الخواجة نصير الدين الطوسي

مقارنة في شخصيته وفكره

سهيل الحسيني



معهد المعارف الحكيمة  
(الدراسات الدينية والفلسفية)  
THE SAPIENTIAL KNOWLEDGE INSTITUTE  
(For Research & Education, Training)

## ■ مقال

# هل سنشهد انهيار الحضارة المادية قريباً؟

## ■ عبد الرحمن الزبيدي

⚠️ الأبحاث والمقالات المنتشرة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

وخزي لحقهم بعد أن تعزت سياساتهم أمام شعوبهم، وانكشفا أمامهم، وبعد ان شهدت عواصم الاتحاد الأوروبي مظاهرات تندد بجرانم الصهاينة ومن يدعمهم ويحميهم ويقف خلفهم ويطنع معهم. وليست هذه المرة الأولى التي يصرح فيها سماحته بظهور ملامح انهيار الحضارة المادية، بل نوه إلى ذلك في مناسبات عديدة كان آخرها ما ذكره في درسه في تفسير القرآن الكريم في ضوء تفسيره للآية الكريمة من سورة الحشر (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْفُؤْمِينِ فَأَعْتَبُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) (الحشر: ٢)، وبين فيها الركائز الأساسية لنظرية أسباب انهيار الحضارات والأمم مهما بلغ شأها وارتفع شأنها واستشهد فيها بشاهدين من الماضي والحاضر وهما هزيمة المسلمين في الاندلس بعد أن حكموها ٨٠٠ عام وانهيار الاتحاد السوفييتي السابق دون قتال. وسأختم مقالتي بالاعتباس التالي من درس التفسير الذي يوضح فيه بعض المصايق المعاصرة لكل ما أشير له آنفاً في هذا المقال: (ان الحضارة الغربية سائرة اليوم بهذا الاتجاه (الخراب والانهيار) خصوصاً بعد اتخاذ عدد من حكوماتهم قراراً بإباحة زواج المثليين وتغيير الجنس، وهو عامل تخريب للأسرة التي هي مقوم اساسي للأمة، كما أن التخلي عن المبادئ الإنسانية السامية، والتجرد من المعنويات، ومن الإيمان بالله تعالي، واليوم الآخر، والخواء الفكري والأيدولوجي الذي يعيشونه وإشاعة ثقافة اللهو والعبث واللهث وراء الشهوات، وهوس التفاهات، يجعلهم مجتمعات كسولة مخدرة غير منتجة، لذا تجدهم يستعبدون بالمهاجرين من البلاد الأخرى لتسيير حياتهم، وهذه كلها أمور تنسف أساس الحضارة ومقومات الأمم، فعلينا أن نستيقظ ونحذر من تسرب هذه العناصر المدمرة الى مجتمعاتنا الإسلامية، بل علينا أن ننقل إلى تلك الأمم ما عندنا لننقدهم مما هم فيه من الضياع).

المصدر: وكالة انباء الحوزة العلمية في النجف الاشرف - واحة

باستخدام كل الوسائل المتاحة من دون حدود حتى لو أدى ذلك لقتل ملايين من البشر.

إن بوادر انهيار الحضارة المادية الغربية أصبحت من الواضح بمكان خاصة مع افتتخاق تناقضاتها بين النظرية والتطبيق ومع التفكك السريع للمنظومة القيمية والأخلاقية في مجتمعاتهم وكأنه يسير وفقاً لمتسلسلة هندسية غير معلومة النهاية وقد صدرت بهذا الصدد عدة مؤلفات، منها كتاب (موت الغرب) ل(بات بوكانان) ويذكر المؤلف عدة أسباب لذلك الموت البطيء الذي أخذ بالتسارع منها الهجرات الأجنبية وعزوف الشباب والشابات عن الزواج وانتشار البطالة ومنها أيضاً تراجع الإيمان المسيحي وتصادد العلمانية والانتصار لها إلى أن يقول: (قرر الإنسان الغربي أنه يستطيع عصيان الله دون عواقب وان يصبح آلهة) لاحظ كيف انه يشير إلى تراجع الإيمان ومخالفة النواميس الإلهية واعتبره سبباً لانهيار صرح الحضارة.

وإذا أردنا أن ننظر إلى هذه الحقائق بدقة أكثر ونربطها بمرتكزاتنا الفكرية الأخلاقية وفقاً لمنظومة مدرسة اهل البيت؟عهم؟ (ومن زاوية نظرنا) نجد المرجعية الدينية في النجف الأشرف قد صرحت بوضوح غير مرّة وعلى لسان جملة من مراجعها وفقهاءها وتأخذ مثلاً على ذلك ما ذكره سماحة الشيخ العجقوبي (دام ظلّه) أثناء مشاركته مع جمع كبير من أساتذة وفضلاء الحوزة العلمية في النجف الأشرف في الوقفة التضامنية مع أهالي غزة المنكوبة حيث وصف سماحته دعم الدول المستكبرة للكيان الصهيوني وتسايق رؤساءه لزيارته والتعاطف معهم بانها فضيحة عظيمة وهزيمة كبرى للحضارة المادية التي يدعيها الغرب، وكشفت زيف ادعاءاته في حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحماية الطفل ومكافحة العنف الأسري وغيرها من العناوين البرّاقة التي حاولت الحكومات الغربية أن تخدع بها الشعوب ولكن سرعان ما افتضحوا وانقلب الرأي العام ضدهم بعد أن شاهد المجازر الدموية والكوارث الإنسانية التي ارتكبتها الكيان الصهيوني ضد النساء والأطفال، وأيّ هزيمة



بالكراهية إن الإنسانية لم تتعرض إلى هذا القدر من المخاطر فإذا انتشرت الحرب على نطاق واسع فإننا لا نعرف إلى أين نتجه، لأي تراجع وأي انحطاط؟ أما ما ذكره موران ليس إلا عينة صغيرة من الكثير مما كتبه الأقلام وتعالّت له الأصوات الغربية التي استشعرت خطورة المسار الذي اتخذته (الحضارة الغربية) في انحدارها المحتوم نحو الانهيار وشخصت -بما لا يقبل الشك أو التحليل- ازدواجية المعايير، والانحياز التام نحو المصالح مهما كانت بعيداً عن المبادئ والشعارات المزخرفة المرفوعة.

لقد كشفت أحداث غزة الأخيرة زيف الحضارة الكارتونية التي يتبنّاها الغرب وزيف الادعاءات التي ارتكزت عليها والخواء الأخلاقي وظهر للرأي العام الغربي قبل الشرقي إن ما يحكمها ليس المثل والأخلاق والحقوق وغيرها من المفاهيم المعنوية التي تحفظ كرامة الإنسان وتصون حياته وتتعامل معه على انه القيمة العليا في هذه الحياة، وإنما الحاكم هو المصالح القذرة والهيمنة على الموارد والخيرات وبسط النفوذ وغير ذلك

(الأزمة تتخطح حضارتنا) هكذا وصف عالم الاجتماع الفيلسوف الفرنسي (أدغار موران) الأزمة الإنسانية الأخلاقية العالمية التي عصفت بالعالم ووضعت في تحدي أمام الضمير الإنساني الذي يحمله ثلة من الاحرار في عالمنا اليوم، فأصبحت المبادئ والقيم والنواميس الأخلاقية والإنسانية والديمقراطية التي يتفاخر بها الغرب ويجلد بها ظهور الخارجين عن إرادته والمتنمرين على نفوذه، أصبحت كلها على المحك وبان للعالم المخدوع والمظلل بالرأي العام المصطنع بزيف وتزيير حقيقة اجتراره لهذه المبادئ والتشديق بها وكأنها من متبنيات (الحضارة الغربية).

ويعود الفيلسوف الفرنسي صاحب كتاب (هل نسير إلى الهاوية؟) إلى التنبيه والتحذير من مخاطر تقاوم العنف والجهل على مصير البشرية داعياً إلى اتخاذ موقف وعدم نسيان القضايا العادلة وانه يتخذ موقفاً يمثل في الفلق الإنساني تجاه أولئك الذين يعيشون المعاناة في غزة ويقول أيضاً في مكان آخر منتقداً الواقع الإنساني المعقد الذي يكتنفه انتشار الشعور